المصـــــدر : المدينة المنورة
التـــاريخ : 11-02-2007 العـــدد : 15999
الصفحـات : 19 المسلسل : 139

توقيتها بعد نجاح لقاء مكة وقبل اجتماع الرباعية يعطيها اهمية خاصة

زيارة بوتين للمملكة .. خطوة كبيرة في اتجاه تعميق الشراكة الاستراتجية ودفع جهود السلام

قراءة / إبراهيم عباس

تعتبر زيارة الرئيس الروسي فلاديمير بوتين للرياض خطوة هامة في مسار علاقات الصداقة والتعاون بين البلدين التي دخلت مرحلة جديدة بالزيارة التاريخية التي سبق وأن قام بها الملك عبد الله بن عبد العزيزإلى موسكو في بداية سبتمبر ٢٠٠٣ م عندما كان وليًا للعهد ،وحيث تكللت تلك العلاقة بتوقيع البلدين على العديد من الاتفاقات الهامة التي وضعت تلك العلاقة في إطار الشراكة الاستراتجية . زيارة من هذا المنطلق تعتبر استكمالاً لجهود القيادتين في دعم تلك العلاقات وتمتينها بما يخدم مصالح البلدين الصديقين ويدعم جهودهما على صعيد إحياء عملية السلام ووضع حلول عملية وواقعية لكافة القضايا الشائكة التي تواجهها المنطقة ، خاصة في الحقائق الاستراتجية التي تضع البلدين في مقدمة الدول التي تضطلع بمسؤولية خاصة إزاء عملية السلام في الشرق الأوسط ومكافحة الإرهاب والحوار بين الحضارات .

وتكتسب الزيارة أهمية استثنائية نظرًا لتوقيتها الذي يتم قبيل اجتماع اللجنة الرباعية في ١٩ من الشهر الجاري التي تشكل روسيا طرفًا أساس فيها واجتماع القمة المرتقب (أولمرت – أبو مازن – كوندو ليزا رايس) الذي سيتم في غضون ذلك وبعد نجاح المساعي السعودية في رأب الصدع بين الأشقاء الفلسطينيين ، وحيث بات من المتوقع أن تشهد الأيام القليلة المقبلة الإعلان عن حكومة الوحدة الوطنية الفلسطينية ، وحيث بات من الواضح أن تحتل هذه التطورات أولوية في المباحثات بين خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله و بن عبد العزيز وفخامة الرئيس بوتين لجهة العمل من أجل إنهاء الحصار المضروب على مناطق السلطة الفلسطينية منذ أكثر من عام ، مع التذكير بأن روسيا كانت من أوائل الدول التي استقبلت وفدًا قياديًا من حماس كإشارة لها دلالتها في دعم العملية الديمقراطية واحترام خيار الشعب الفلسطيني .

التطورات التاريخية

بالرغم من القطيعة بين المملكة وما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي على مدى نصف قرن ، إلا أن استئناف العلاقات الدبلوماسية بين البلدين من خلال التمثيل الدبلوماسي الكامل الذي تم عام ١٩٩١ فتح آفاقًا رحبة في مسار العلاقات بين البلدين التي كانت الأولى من بين العلاقات التي أقامها القائد المؤسس الملك عبد العزيز – يرحمه الله – على الصعيد الخارجي . وحيث تصادف زيارة الرئيس بوتين للرياض نكرى مرور ٨١ عامًا على بدء تلك العلاقات التي دشنت في ١٩٢٦/٢/١٦ .

وغني عن القول بأن العلاقات السعودية الروسية ظلت تتسم بالخصوصية باعتبار الإسلام محور رئيس في العلاقة بين البلدين : المملكة باعتبارها أرض الحرمين الشريفين وقبلة المسلمين ومهوى أفئدة أكثر من مليار مسلم في العالم وبما جعلها رائدة للتضامن الإسلامي إلى جانب دورها في الدفاع عن قضايا أمتها ، وروسيا باعتبارها دولة كبرى والقوة العسكرية الثانية في العالم ، وكذلك باعتبارها – إلى جانب المملكة – من أكبر مصدري النفط في العالم ، إلى جانب كونها تضم أكبر عدد للمسلمين في أوروبا (حوالي ٢٠ مليون مسلم) ، وهو ما أكسب روسيا نوعا من التميز عن سائر دول أوربا مكنها في ذات الوقت من تفعيل هذا الدور من خلال التحرك والتأثير في العمق الإسلامي لدول العالم الإسلامي،وهو ما أمكن ترجمته من خلال عديد المظاهر مثل الرغبة الروسية للانضمام كمراقب في منظمة المؤتمر الإسلامي ، وهو ذلك التوجه الذي دعمته المملكة وتحقق بالفعل من خلال انتظام روسيا في عقد منظمة المؤتمر الإسلامي (كمراقب) ،وردت موسكو على تلك الخطوة بتعيين مستشار للرئيس لشؤون المنظمات الإسلامية (السفير بنيادين بوبوف)، وبالدعوة لعقد عدة مؤتمرات دولية تحت عنوان (روسيا والعالم الإسلامي)، في موسكو وقازاستان واسطنبول ، الأمر الذي دفع أحد الخبراء الاستراتجيين في الشؤون الروسية إلى التقرير بتبدل العامل الإسلامي في العلاقات السعودية الروسية من معوق لمسيرة علاقات البلدين إلى في فترة الحرب الباردة وما قبلها (منذ سحب السفير الروسي عام ١٩٣٥) إلى عنصر هام يدعم هذه العلاقات ، وهو ما عبر عنه الرئيس بوتين نفسه خلال مقابلته للأمين العام للأمم المتحدة الأسبوع الماضي بقوله إنه لم يعد هنالك ثمة خلاف أيا كان نوعه بين موسكو والدول العربية ، في إشارة إلى طوي صفحات الماضي التي أساءت إلى العلاقات بين الطرفين ، خاصة إبان فترة الاحتلال السوفيتي لأفغانستان

المصـــــدر : المدينة المنورة
التـــاريخ : 11-02-2007 العـــدد : 15999
الصفحـات : 19 المسلسل : 139

خادم الحرمين خلال زيارته لروسيا

، وتشجيع الحكومات السوفيتية للهجرة اليهودية لإسرائيل .

خصوصية ثقافية

لابد للمراقب أن يلحظ أن ثمة خصوصية في العلاقات العربية – الروسية بشكل عام حيث تمتزج السياسة بالثقافة والتاريخ بالجغرافيا ، وبما يشكل في نهاية المطاف نسيجًا متينًا من العلاقات التاريخية والإنسانية التي أضاءت صفحات التاريخ . ومن الصعوبة بمكان تجاهل التأثير العربي والإسلامي في الثقافة الروسية والتي يمكن ملاحظتها في العديد من ملامح الثقافة الروسية كموسيقى كورسيكوف ورحمانينوف . كما لا يمكننا إغفال تأثر الكتاب الروس العظام بالثقافة الإسلامية . وحيث نرى ملامح التأثر بالإسلام في أعمال أولئك الكتاب مثل بوشكين الذي تأثر بلغة القرآن الكريم وبلاغته وسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وماكسيم جوركي (صاحب رواية الأم الرائعة) الذي اهتم بقراءة القرآن الكريم وتلمس معانيه.

تطورات دراماتيكية

شهدت موسكو تطورًا هامًا على صعيد العلاقات بين البلدين عندما أقيم في ٢٠٠٢/١٠/٢٣ ندوة بمناسبة مرور ٧٠ عامًا على زيارة الأمير فيصل بن عبد العزيز – حينذاك لموسكو، وحيث أقيمت تلك الندوة بالتعاون بين مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، والمركز الدولي للدراسات الاستراتيجية والسياسية في موسكو . وشارك في الندوة من الجانب السعودي وفدًا ترؤسه سمو الأمير تركي الفيصل ، حيث شملت تلك الندوة العديد من المحاور الهامة التي تبحث في صلب العلاقة التاريخية بين البلدين .

والجدير ذكره أن خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز بزيارته إلى موسكو عام ٢٠٠٣ عندما كان وليًا للعهد استطاع كسر آخر الحواجز التي كانت تقف حجر عثرة في مسار العلاقات بين البلدين عندما أدلى بحديثه لوكالة الأنباء الروسية حول القضية الشيشانية بقوله أنه ينبغي لتلك القضية أن تحل في ضوء قوانين فدرالية روسيا الاتحادية ، وهو ما كان له أكبر الأثر في توجه موسكو نحو توخي حلول لهذه القضية تتسم

المصـــــدر : المدينة المنورة
التـــاريخ : 11-02-2007 العـــدد : 15999
الصفحـات : 19 المسلسل : 139

بالمعالجة الواقعية والذي تمثل في أحد جوانبه بقيام المملكة وروسيا بالتعاون مع منظمة المؤتمر الإسلامي والبنك الإسلامي للتنمية لتنظيم مؤتمر تنموي لمعالجة الآثار السلبية التي لحقت بجمهورية الشيشان وشعبها الذي فاته كثير من مقومات التنمية البشرية والحياة الطبيعية بسبب الحرب الطويلة، وأن يشمل هذا المشروع معالجة مشكلات البنى التحتية، والتنمية الثقافية والعلمية، والدعم المادي المباشر لعامة الشعب.

الإسلام محور هام

يعود تاريخ الإسلام في روسيا إلى ما قبل ١٤٠٠ سنة عندما اعتنق الدين الإسلامي في حوض نهر الفولجا رسميًا . ويعتبر الإسلام الدين الثاني في البلاد من حيث عدد معتنقيه (١٥-٢٤ مليون نسمة) يمثلون ٣٨ شعبًا في جمهورية روسيا الفيدرالية . كما يوجد جالية مسلمة كبيرة في موسكو وبطرسبرج ومدن كبرى أخرى . ويعيش حوالي ٣ مليون مسلم في إقليم موسكو منهم النصف تقريبًا في العاصمة موسكو . ومسلمو روسيا في غالبيتهم العظمى سنة . ويوجد في روسيا قرابة ٤٠٠٠ مسجد . وتجدر الإشارة إلى أن عدد الحجاج الروس إلى الديار المقدسة يزداد سنة بعد سنة ، وحيث وصل في موسم حج ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦ م إلى ١٨ ألف حاج يتم تنظيم رحلاتهم من خلال اتفاقية بهذا الشأن .

الدور السياسي

تلعب روسيا دورًا محوريًا في قضايا الشرق الأوسط من خلال ما تبذله من تعاون مع عواصم القرار العربي ، وفي مقدمتها الرياض - متمثلاً بشكل خاص بالرحلات المكوكية التي قام بها كل من وزير الخارجية السعودي، ونظيره الروسي في لقاءات تشاورية بين موسكو والرياض، في مجمل القضايا الإقليمية والدولية وبما أوجد نوعا من الانسجام والتناغم في كثير من المواقف تجاه مجمل القضايا العالقة ، وعلى الأخص القضية الفلسطينية ، والتمسك بالخيار الشعبي الفلسطيني الديموقراطي لاختيار حكومته بعيدا عن الضغوطات والممارسات غير المسؤولة التي تقوم بها أطراف خارجية وأخرى داخلية خلقت الأجواء المشحونة التي فجرت الشارع الفلسطيني، والحديث ذاته في الشأن العراقي وكذلك اللبناني، والابتعاد بالمنطقة عن أجواء المواجهات العسكرية المحتملة سواء ضد سوريا أو إيران تحت أي مبرر، ولاسيما أن المبررات التي سبق تقديمها للحملات العسكرية في المنطقة أثبت الواقع كذبها وأنها مختلقة لغرض أوضاع جديدة عادت بالمنطقة لدوامة الصراع المتأجج، وخلقت أجواء وبؤرا للإرهاب الدولي بكافة مستوياته وانتماءاته. وتوفر الزيارة الفرصة أمام موسكو لإثبات أن دورها يتعدى التهدئة أو كسب الوقت، دون المعالجة والمشاركة الفعالة في صنع القرار الدولي الحاسم .

البعد الاقتصادي

رغم أن أرقام التبادل التجاري بين روسيا والمملكة تقع دون تطلعات القيادتين ، إلا أن هنالك عدة مؤشرات تدفع في اتجاه دعم التعاون الاقتصادي والتبادل التجاري والاستثماري بين البلدين - خاصة في مجال النفط والغاز، وصناعة الطاقة، والصناعات العسكرية - إلى المستوى ذاته الذي وصلت إليه العلاقات السياسية بينهما ، فهذه المجالات تمثل الثقل الاقتصادي من جانب، ومن جانب آخر تمنح المستثمرين الثقة في السوق المقابل، والتعامل معه من العمق بدعم وضمانات حكومية، لا سيما في ظل ما تتمتع به الدولتان من استقرار وإمكانات هائلة للتبادل التجاري . والقضية - كما يرى بعض الخبراء الاستراتجيين - لا تتوقف على توقيع الطرفين على اتفاقيات التعاون التجاري، ومنع الازدواج الضريبي، فهذه لا تعدو كونها ممهدات للممارسة التجارية، ولكنها تحتاج بالدرجة الأولى إلى القرار السياسي.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن العلاقات الاقتصادية بين البلدين الصديقين على الصعيد الاستثماري دخلت مرحلة جديدة على إثر حصول شركة (لوكويل) على حق إجراء أعمال الاستكشاف الجيولوجي واستثمار حقول الغاز في منطقة الربع الخالي .استنادًا إلى كل ما سبق يتوقع أن تؤدي زيارة بوتين للرياض إلى تحقيق قفزة واسعة في علاقة الشراكة الاستراتجية بين البلدين الصديقين من جهة ، وإلى إكساب قضية السلام دفعة قوية في اتجاه تحقيق التهدئة والانفراج الذي يشكل بندًا متقدمًا في جدول المباحثات بين القيادتين .